



2018/11/10

تقرير حلقة نقاش
مع الباحث البلجيكي ميشال كولون
بعنوان "صعود اليمين المتطرف حول العالم"

عقد المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق في 7 تشرين الثاني 2018 حلقة نقاش مع الكاتب البلجيكي ميشال كولون بعنوان "صعود اليمين المتطرف حول العالم". والتي شارك فيها حشد كبير ومتنوع من الباحثين والمتخصصين والمهتمين، افتتح مدير عام المركز السيد عبد الحليم فضل الله الندوة مرحبًا بالحضور ومشيرًا إلى موضوع الندوة وإشكالياتها. حيث يصعد اليمين العالمي بفعل عوامل عدة: أبرزها الأزمات الاقتصادية العالمية وزيادة التفاوت الاجتماعي، وتراجع فعالية الديمقراطية والضمور الإيديولوجي لأحزاب اليمين واليسار ما خلف مساحات فراغ واسعة، ملأتها الشعبوية والحركات المتطرفة. ثم تولى الأستاذ وليد شرارة تقديم الندوة وإدارتها مشيرًا إلى ظروف صعود اليمين المتطرف حول العالم ولما لذلك من علاقة بفشل النظام العالمي وعجز النخب وأحزاب الحكم التقليدية وانفصال هذه النخب عن واقع الشعوب وميلها نحو المصالح الخاصة.

ثم كانت مداخلة السيد ميشال كولون الذي افتتح مداخلته بالحديث عن التضليل الإعلامي في الحروب مقدمًا خلاصة دراساته في مجال الدعاية الغربية حيث أشار إلى خمسة أبواب للتضليل الإعلامي:

1. محاولة تجاهل المصالح الاقتصادية التي تقف خلف الحروب.
2. التعمية على التاريخ والسياقات التاريخية عن المسؤوليات الاستعمارية وبالتالي، زرع قنابل موقوتة في العقول.
3. شيطنة العدو، تقنيات الحرب الإعلامية في عصر المعلومات (استخدام الصورة) وإذا لم تكن الصور موجودة استخدام صور من حروب أخرى.
4. استبدال الأدوار بين المعتدي والمعتدى عليه.
5. احتكار المعلومات، منع الرأي العام من الاطلاع عن الرأي الآخر في الحرب.

ثم انتقل كولون إلى الحديث عن أسباب ظاهرة صعود اليمين معتبرًا إنها "ليست مفاجئة"، فالظاهرة برأيه برزت بين عامي 1990-1991. بين عامي 1945-1990 كانت لدينا قوتان عظيمتان ونظامان اجتماعيان، وبحسب كولون، مهما كان موقفنا من الاتحاد السوفياتي بسيئاته وحسناته، كان هناك نوع من التوازن، وكان هناك بديل من النظام الرأسمالي السائد الذي قال أنه لم يكن قادرًا على شن حروب كما فعل بعد عام 1990، أو حتى اعتماد سياسات تعيد المكاسب الاجتماعية إلى جمهوره. واستشهد هنا بما قاله جورج بوش الأب بعد الحرب على العراق عندما قال أنه سينشأ نظام عالمي جديد، وبعد هذه الحرب زادت وتكاثرت الحروب بشكل كبير.

ثم تحدّث كولون عن "تزايد الحرب على قوى الشعوب العاملة"، فأعطى مثلاً من بلده بلجيكا التي قال إن 15٪ من سكانها لا يستطيعون دفع تكلفة الرعاية الصحية، وفي الولايات المتحدة الأميركية 45٪ من السكان هم تحت خط الفقر. بحسب الكاتب البلجيكي ما نراه اليوم هو الوجه الحقيقي للرأسمالية الغربية، وعلينا دائماً أن نتذكر أن الرأسمالية الغربية هي التي صنعت الحرب العالمية الثانية للسيطرة على الثروات. ورأى كولون أن صعود اليمين الفاشي الغازي الذي ظهر في العشرينات والثلاثينيات من القرن الماضي أوصلنا بعدها مباشرة إلى الحرب الكبرى، وما نراه اليوم- بحسب كولون- من أزمات وحروب واستعار للتنافس بين القوى بدون ضوابط، هي آليات عمل الرأسمالية الغربية الطبيعية. وقال كولون إن "اليمين هنا يأتي ليسوق نفسه بديلاً للقوى التقليدية مستغلاً حالة الغضب العارم المتولّد بسبب امتلاك 8 أشخاص فقط أغلب الثروات في عالمنا".

يرى كولون أن لدينا أربعة أزمات مترابطة يستغلّها اليمين المتطرف هي: سياسية، إقتصادية، إعلامية، أخلاقية. ويعتقد كولون أن الأزمات الإقتصادية ناجمة عن التنافس على الأرباح، لكن في سياق الحرب الإقتصادية يحقّ رأس المال الأرباح من خلال صرف العمال ودفع أجور متدنّية، وفي هذه الحالة تبرز مشكلة: لمن ستباع هذه السلع بعد إفقار القطاعات التي يجب أن تشتريها؟ وهنا يشير كولون إلى أن جميع العائلات السياسية الأوروبية مأزومة اليوم وفقدت الكثير من مصداقيتها بسبب تقديمها وعوداً دون وجود نية لديها لتنفيذ هذه الوعود.

نحن أمام تناقض كبير في أوروبا، فقد قرّرت حكومات ألمانيا وفرنسا وبريطانيا استيراد يد عاملة من سوريا من أجل تطوير حركة الاقتصاد عبر تعزيز التنافس. إلا إن بعض النخب اليمينية تستعمل قضية اللاجئين للتخويف من القادمين الجدد. ولكن بحسب كولون، العداء ضد اللاجئين لا يقتصر على اليمين المتطرف، بل أيضاً هناك يسار يستعمل هذا الخطاب. يُقال للبلجيكين اليوم أن هناك الكثير من اللاجئين القادمين من الشرق الأوسط، لكن حقيقة الأمر أنّ بلجيكا فيها 1٪ فقط من اللاجئين من الشرق الأوسط.

ثم تحدّث كولون عن مسؤولية الاستعمار الغربي عن مأساة اللاجئين واعتبر أننا في حلقة مفرغة، وأن العلاقة بين الاستعمار والمستعمرين تنتظم في أربعة أمور:

- مرحلة الاستتباع الذي يتسبب بالفقر. وتحدث هنا عن منظومة الهيمنة المسماة "فرنسا- أفريقيا" التي نهبت فيها فرنسا على مدى عقود الثروة الأفريقية ومنعت تطور أفريقيا. وأشار في هذا الإطار إلى أيام الهيمنة

- الأميركية على فنزويلا حيث لم يستطع قسم كبير من السكان أن يجد الرعاية الصحية، وهذا ما أطاح به تشافيز، ولذلك حاولت واشنطن الانقلاب عليه وحاربتة. منظومة التبعية تتسبب بالفقر وتشن الحرب للإبقاء على منظومتها.
- الحروب المباشرة وغير المباشرة الهادفة إلى الحفاظ على الهيمنة.
 - الغرب (الشمال) هو المسؤول عن خلق ظروف تؤدي إلى أعداد كبيرة من اللاجئين. ترامب يحاول شيطنة مسيرة اللاجئين في الهندوراس، وهو يتناسى أن واشنطن هي التي كانت وراء الانقلاب هناك، وبالتالي تسببت بتفشي الفساد والفقر. تمامًا كما حصل في تشيلي مع بينوشيه، وينسى ترامب بأن يذكر ما فعلته واشنطن في فنزويلا مع تشافيز واليوم مع مادورو.
 - الجدل حول قضية اللاجئين يستغله اليمين المتطرف والأحزاب التقليدية.

وختتم كولون بالقول أننا سنشهد تعميقًا للخلافات السياسية في أوروبا، وإذا لم يحصل أيّ تطور سينزاح المشهد لصالح اليمين. وهو يعتبر أنه لا وجود لجدار عازل بين الأحزاب التقليدية واليمين المتطرف، فلا فرق بين الجهتين، وبعض الأحزاب التقليدية تبنت سابقًا خطابًا يمينيًا متطرفًا، على حد وصفه.

وفي ختام الحلقة أجاب كولون على أسئلة الحضور وعقب على مداخلاتهم والتي تعاقب عليها 15 مشاركًا.